تنظيم الحركة المالية للفرد والمجتمع

(دراسة في ضوء القرآن الكريم)

الباحث الشيخ أركان خليل كاظم
ماجستير تفسير وعلوم القرآن الكريم ـ جامعة المصطفى ﷺ الدولية - إيران
الأستاذ الدكتور ضياء غني العبودي
جامعة ذي قار ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ قسم اللغة العربية ـ العراق
thyambc@yahoo.com

community Financial Organizing for individual and (Study based on Holy Quran)

Researcher Sheikh Arkan Khazali
Al-Mustafa(PBUH) International University , Iran
Prof. Dhiaa Ghani Al Aboudi
College of Education for Humanities , Department of Arabic Language , Dhi Qar University , Iraq

الخلاصة:-

لا شكّ في أهميّة المال – وهو ما يمتلكه الفرد والجماعة –؛ وأنه عصبُ الحياة وقِوام المعيشة؛ لذا فقد رسم لنا القرآن الكريم منظومةً دقيقة تنظّم الحركة المالية لدى الفرد المسلم فضلاً عن الأمة ابتداءً من كسب المال إلى إنفاقه، فجاء الحثّ في مواضع عدّة على حُسن التصرّف به. كما قدّم لنا طريقة الاعتدال والوسطية في إنفاقه، وعرّفنا بصور التكسب الحلال وبركته، وخطورة إضاعته بالإسراف والتبذير.

ومن أهم ما يُمكن تسليط الضوء عليه هو مسألة التكافل الاجتماعي أو قل العمل بالنظام الاقتصادي الإسلامي، بمعنى آخر: جعل خطة مالية تساعد الأسرة على الموازنة بين الدخل والنفقات. حيث إنّ كل فردٍ أو أمةٍ خَلَت خزائنها المالية ضعف شأنها، واستهان بها عدوها، وعجزت عن مواجهة صعاب الحياة. في حين أنّ العمل بها يبني شخصية الفرد المسلم الاقتصادية، وهو بناء المجتمع جزماً، فلا يصعُب عليهم حينئذٍ من سدّ حاجاتهم المالية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الفرد، المجتمع، الحركة المالية، النظام الإقتصادي الإسلامي.

Abstract:-

There is no doubt in the significant of the money - and it's the property of the person or the community -; also it's the backbone of life and livelihood; therefore the Holy Quran visualized an accurate system for the Islamic individual as well as the nation at the beginning from earning to spending it, so the urge came from several topics about good management of money. And the Quran gave us the moderate and average method of how to spend it and taught us the blessing of earning money in Halal, and the dangerousness of wasteful and extravagance.

And the most important issue that needs to be highlighted is the interdependence of the community or the least application of the Islamic economic system, in other words: make a financial plan that helps the household to balance between earnings and spendings. Since the weakness of every person or nation is its empty Financial Treasuries, and will be underestimated by the enemy, and will be unable to face obstacles and difficulties. Since applying these plans builds the economical personality for the Islamic individual, and it's absolutely will build the community, then it's not difficult for them to meet their financial needs.

Key words: the Holy Quran, the individual, society, the financial movement, the Islamic economic system.

مقدمة:ـ

ممّا لا شكّ فيه أنّ المال عصبُ الحياة، إذ به مَعاش الناس، وبه قِوام الأبدان والعُمران، لذا جاء الإسلام بتنظيمٍ دقيق ومُحكَم ووافٍ للمال، سواء فيما يتعلّق بكسبه وجمعِه، أو باستهلاكه وإنفاقه، وقد اعطانا الله جلَّ جلالُه منظومة اقتصادية كاملة تنظّم لنا فيها هذه الحركة المالية ابتداءً من كسبه وانتهاءً باستهلاكه، وبنظام دقيق يحفظ لنا حرمتنا من العيش الكريم، فهناك من ينجز أعمالاً كثيرة في حياته، وذلك لأنّها مرتّبة ومنظّمة، ولأنّه يُحسن الاستفادة من فترة وجوده ومن الإمكانيات المتاحة له. ولذا تمتلئ حياته بالإنتاج، والعطاء. وهناك من تخلو حياته من العطاء، تمرّ عليه الفرص كمرِّ السحاب فلا يستفيد منها. ونجاحه وإنتاجه هذا يرجع إلى مدى ترتيب وتنظيم حياته، وبما أنّ الأموال التي بيد الإنسان عصبُ حياته فلابدّ من أن ينظّم ويُرشد استهلاكه لها، فالكثير من الناس لهم دخل ثابت، ولأنّهم لا يُنظّمون التصرّف في دخلهم، لا يأتي آخر الشهر إلّا وهم مديونون، وذلك لأنّ الكماليات تأخذ جزءاً كبيراً من حياتهم على حساب الأشياء الأساسية. وخير من ينظّم تلك الحركة الاقتصادية لدى الفرد المؤمن هو القرآن الكريم، كلام الله وقوانينه التي نظّم لخلقه بها جميع مفاصل حياته الإيمانية، أو الاجتماعية، أو السياسية ونحوها. ومن بين تلك القوانين هو قانون الأموال.

وكما أنّ هناك جوانب في المجتمع لها قوانين ويجب على الفرد أن يرعى هذه القوانين، وأوضح مثالاً لها هو قانون المرور، فكل شخص لديه سيارة يريد أن يمشي في الشارع، وله حق، لكن مع كثرة السيارات، ومع تعدد الاتجاهات لابدّ من نظام، هذا النظام ينبغي أن يُراعى وأن يُحترم، وإذا لم يراعى هذا النظام تحدث الحوادث والتي قد تصل إلى الموت أحياناً، كذلك على الإنسان أن يُنظّم ويتصرّف في أمواله بالشكل السليم المحقّق لحاجاته وحاجات عائلته وحاجات مجتمعه أيضاً.

المال لغة: ما مَلَكتَه من جميع الأَشياء. والجمع أَموال. والمال في الأَصل ما يُمْلك من الذهب والفضة، ثم أُطلِق على كل ما يُقتَنَى ويملَك من الأَعيان، وأَكثر ما يُطلق المال عند العرب على الإِبل لأَنها كانت أَكثر أَموالهم.(١)

المال اصطلاحاً: كل ما يملكه الفرد، أو تملكه الجماعة من متاع، أو عروض تجارة، أو عقار، أو نقود، أو حيوان، فهو كل ما يتمول في العادة، سواء كان من أموال الزكاة، أم لم يكن.[٢]

أهمية المال:

قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾[٣]، قال المفسّرون: من الواضح أنّ المراد من السفه في الآية هو عدم الرشد اللازم في الأمور الاقتصادية بحيث لا يستطيع الشخص من تدبير شؤونه الاقتصادية وإصلاح ماله على الوجه الصحيح، ولا يمكن من ضمان منافعه في المبادلات والمعاملات المالية، أي: أنّه عرضه للغبن والضرّر[٤].

تعطينا الآية دَرّسين مُهمين كأول خطوة في تنظيم حركتنا المالية، فالأوّل منها في إعطاء المال لمن يحسُن التصرّف به، والثاني في أهمية المال، فلو لم يكن المالُ مهماً لما جاء الأمر الإلهي في حسن التصرف. ((وإن كانت الآية تبحث حول اليتامى، لكنها تتضمن حكماً كلياً وقانوناً عاماً لجميع الموارد ولا فرق في هذا الحكم بين الأموال الخاصّة والأموال العامّة (وهي أموال الحكومة الإسلامية) ويشهد على هذا الموضوع-مضافاً إلى سعة مفهوم الآية- كلمة (السفيه) روايات منقولة عن أئمة الدين في هذا الصدد. ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام نقرأ أنّ شخصاً يُدعى إبراهيم بن عبد الحميد يقول: سألت أبا عبد الله عن قول الله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ قال: كل من يشرب المسكر فهو سفيه فلا تعطوهم أموالكم...لأنّ شارب الخمر فقد رأس ماله المادي ورأس ماله المعنوي، وأيّ سفيه أشدّ من أن يعطي الإنسان ماله، وعقله أيضاً... ثم أنّنا نلاحظ في رواية أخرى تصف كل من لا يوثق به بالسفيه، وتنتهي من تسليم الأموال الخاصة والعامة إليه، فعن يونس بن يعقوب قال: سألت أبا عبد الله عن قوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ قال: من لا تثق به...ومن هذه الروايات يَتبيّن أنّ للفظة السفيه معنىً واسعاً...وهنا ينطرح سؤال وهو، إذا كانت هذه الآية في مورد أموال اليتامى فلماذا قال تعالى: ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ ولم يقل (أموالهم)؟ قد تكون النكتة والسر في هذا التعبير هو بيان مسألة اجتماعية واقتصادية مهمة في المقام وهي أنّ الإسلام يعتبر الأفراد في المجتمع بمثابة فرد واحد بحيث لا يمكن أن تنفصل مصالح فرد عن مصالح

الآخرين، وهكذا تكون خسارة فرد عين خسارة الآخرين، يعني أنّ هذه الأموال -في الحقيقة- ليست مرتبطة باليتامى فقط، بل هي مرتبطة بكم أيضاً، فإذا لحق بها ضرر فيكون ذلك الضرر قد لحق بكم بصورة غير مباشرة أيضاً، ولهذا يجب أن تحرصوا في حفظها كل الحرص...ثم إنّ القرآن الكريم يصف الأموال المذكورة في الآية بقوله: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ هي قِوام حياة الناس والمجتمع وبدونها لا يمكن للمجتمع الوقوف على قدميه، فلا يصح إعطاؤها إلى السفهاء والمسرفين الذين لا يعرفون إصلاحها...ومن هذا التعبير نعرف جيداً ما يوليه الإسلام من الاهتمام بالأمور والشؤون الاقتصادية والمالية)).(٥)

والخلاصة: أنّ المال عصبُ الحياة وقِوام المعيشة فلابدّ من حُسن التصرّف به. وبعد معرفة عدم حصول القيام والمعاش إلا بالمال، علينا معرفة كيفية حُسن التقدير في المال.

حسن التقدير في المال:

أمر الإسلام بالاقتصاد، والرفق في صرف المال. قال الرسول الأعظم ﷺ: من اقتصد في معيشته رزقهُ الله ومن بَذَّرَ حَرَمهُ الله(٦)، وورد أيضاً عن أبا عبد اللّه عليه السلام أنه قال: يا داود إنّه لا يصلح المرء المسلم إلّا ثلاثة: التفقّه في الدّين. والصبر على النائبة. وحُسن التقدير في المعيشة.(٧)

لقد رَبَط الإمام بين حقيقة الإيمان، وحل مشكلة العيش في هذه الأرض، لأنّ حُسن التقدير في المعاش معناه إتقان العمل، وصرف الإنتاج في وجهه النافع، وهذا دليل قاطع على أنّ الدين لا ينفصل عن الحياة، وأنّه شُرّع من أجل حياة لا إشكال فيها ولا تعقيد.

إذن: الاقتصاد والرفق في صرف الأموال هو معنى حسن التقدير في المعيشة وهذا هو الدرس القرآني الثالث في الحركة المالية لدى الفرد المسلم.

البركة في المال:

إنّ البركة في الوقت كثرة الأعمال الصالحة فيه، وفي العمل العمل به وتعميم نفعه، وفي الصحة تمامها وسلامتها، وفي الأولاد صلاحهم وبرّهم، وفي الزوجة صلاحها وحُسن تَبعلّها لزوجها، وكذلك الأمر نفسه في المال فبركته بالرزق الحلال، فأنّ المال الحلال وإن كان قليلاً في نظر العين، فإنّ الله يكثّره ويُبارك فيه، وأنّ المال الحرام وإن كان كثيراً في نظر العين فإنّ الله

يمحُقه، كما قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[٨]، فالمحق: هو النقصان التدريجي، ويربي: هو النمو التدريجي. فالآية هنا تُبيّن الفرق بوجه من وجوه الحلال وهي الصدقة ووجه آخر من وجوه الحرام وهو الربا، فموضوع كل من الصدقة والربا هو المال مع وجود الفارق، والحكم يجري ببقية وجوه الحلال والحرام كما يجري في هذا الوجه، ووضوح الاختلاف لا يحتاج إلى تطويل، فالفرق واضح بين التجارة الحلال والتجارة الحرام، فالتجارة السليمة ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾[٩] تجري فيها رؤوس الأموال في تداول سليم، والتجارة الحرام ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ تجري رؤوس الأموال مجرى غير سليم، بل تزعزع قواعد الاقتصاد فرداً ومجتمعاً.

وقد أثبت بعضٌ من المتخصصين بعلم الاقتصاد (أنّ فكرة الربا أساسها ومصدرها الأول اليهود، وأنّ غيرهم أخذها عنهم.. وليس ذلك ببعيد، فإنّ تاريخ اليهود القديم والحديث يُثبت بأنّ الههم ودينهم وشرفهم وسياستهم هو المال وحده لا شريك له، وأنّ أيةَ وسيلة تؤدي إليه فهي شريفة ونبيلة، حتى ولو كانت دعارة، أو قتلاً، أو سرقة، أو نفاقاً ورياءً، أو أيةَ جريمة ورذيلة).[١٠]

والخلاصة: أنّ البركة في المال منشأها الرزق الحلال، فكلُّ ما أنفَقَه الإنسان، أو اكتسبه عند الله وعند العُقَلاء، فهو جُودٌ، وله عند الله أجراً ويرفع به منزلة، وكل ما أنفَقَه أو كسبه في معصية الله وعند العُقَلاء فهو محرّمٌ، ولا بركة فيه جزماً. وهذا الدرس القرآني الرابع في الحركة الاقتصادية. وبعد معرفة هذا علينا أن نتعرف على خطورة وصور إضاعته.

إضاعة المال وخطورة الإسراف والتبذير:

إنّ معنى إضاعة المال هو: صرفُه في غير وُجوهه الشرعيَّة، وتعريضه للتلف، ومن أجلى صور الإضاعة هي الإسراف والتبذير.

ما هو الإسراف وما هو التبذير وما هو الفرق بينهما؟

قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[١١].

الإسراف لغة: أسرَفَ فى ماله: عَجِلَ من غيرِ قَصدٍ، وأمَّا السَّرف الذى نَهَى اللَّهُ عنه فهوَ ما أُنْفِقَ فى غير طاعةِ الله قليلًا كانَ أو كثيراً[١٢].

الإسراف اصطلاحاً: أي لا تتجاوزا الحدّ الذي يصلح به معاشكم للتصرّف فيه، فلا يتصرّف صاحب المال منكم بالإسراف في أكله، أو في بذله، أو وضعه في غير موضعه من معاصي الله وهكذا، ولا يُسرف الفقير الآخذ بتضييعه ونحو ذلك، ففي الكلام إطلاق، والخطاب فيه لجميع الناس.(١٣)

مظاهر الإسراف وأسبابه:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾(١٤)، الإسرافُ هنا يتناوَلُ المال وغيره، فقس أنت على هذا من إهدار الثروة المائيّة، وترى أحدهم قد مَدَّ خرطوم الماء ليغسل سيَّارته بالماء المعدّ للسّقاية والذي قد لا يجدُه البعض، أو إهدارُ الطاقة الكهربائيّة، فالمكيّفات تعمل، والمنزل يُضاء، ولا يوجد أحد في المنزل، أو الإنفاقُ في فُضول الطعام والشراب، بل ورمي الطعام والشراب في القمامة من صُوَرِ الإسراف والتبذير، ثمّ من صور الإسراف والتبذير مُتابَعة الموضة والانشغال بجنون الأزياء والاستجابة لضُغوط الحملات الإعلاميّة الصاخبة التي تحملُ كثيراً من مُتابعيها على شراء ما لا يحتاجون. شراءُ التحف والمحنّطات التي ليس من ورائها فائدة، وعلى هذا النحو من مظاهر الحياة التي قد تكون مصاديقاً للإسراف. فإذا ما نظرنا إلى حياتنا الاجتماعيّة الماليّة فسنجدُ مُمارسات غيرَ محمودة وواقعاً غير مُرضٍ، فهناك عَبَثٌ من كثيرٍ من الناس بالأموال، فستجدُ التكلُّف ظاهراً في شَكله ومُحتواه.

أما أهم أسباب الإسراف هي: الغَفلة عن طبيعة الحياة الدّنيا وما ينبغي أن تكون، ذلك أنّ طبيعة الحياة الدنيا أنّها لا تثبُت ولا تستقرُّ على حالٍ واحد، والواجب يقتَضي أن نضَع النّعمة في مَوضعها، وندّخر ما يفيضُ عن حاجَتنا الضروريّة اليوم من مالٍ وصحّة إلى وقتٍ آخَر. وقد يكون السبب هو السّعة بعد الضّيق، أو اليُسر بعد العُسر، ذلك أنّ كثيراً من الناس قد يعيشون في ضيقٍ أو حِرمان، أو شدّة، أو عسر، فإذا هم صابرون مُحتَسبون، وقد يحدُث أن تتبدّل الأحوال فتكون السّعة بعد الضّيق، أو اليُسر بعد العُسر، وحينئذٍ يَصعُب على هذا الصنف من الناس التوسُّط أو الاعتدال، فينقلب على النّقيض تماماً، فيحصل الإسراف. وقد يكونُ الإسراف سببه حبّ الشُّهرة والتباهي أمامَ الناس رياءً وسمعةً والتعالي عليهم، فيُظهِر لهم أنّه سخيٌّ وجَوادٌ، فيَنال ثَناءهم ومدحَهم، لذا يُنفق أمواله في

كلّ حينٍ وبأيّ حال، ولا يهمه أنّه قد أضاع أمواله وارتكب حراماً. وغيرها من الدواعي والأسباب الكثيرة لتضييع المال وإسرافه.

من مَضار الإسراف:

١- يجلب غضَب الرب؛ لأنّه ينافي كمال الإيمان.

٢- التشبُّه بالشيطان في الإفساد.

٣- إضاعة المال وحاصله الفقر في المال.

٤- الندم والحسرة على ما ضاعَ من غير فائدة.

٥- يُطبّع الفرد بطابع الانحِلال والبُعد عن الجِدّ والاجتهاد.

٦- يدعُ الفرد عالةً على غيره، عاجزاً عن القيام بمهامّه.

أما التبذير، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[١٧] **فالتبذير لغة:** يقال: بَذَرَ بَذراً. والتَّبذِيرُ: إفساد المال وإنفاقه، وقيل: التَّبذِيرُ إنفاق المال في المعاصي، وقيل: هو أن يُبسط يده في إنفاقه حتى لا يبقى منه ما يقتاته[١٥] وجاء أيضاً أنّ التَّبذِيرُ: بمعنى التفريق، وأصله إلقاء البذر وطرحه.[١٦]

والتبذير اصطلاحاً: هو التفريقُ بالإسراف، وأصلُه أن يُفرّق كما يُفرّق البَذر إلا أنّه يختص بما يكون على سبيل الإفساد وما كان على وجه الإصلاح لا يسمى تبذيراً وإن كثر[١٨].

من مضارّ التبذير:

١- فيه طاعة للشيطان ومعصية للرحمن..

٢- المبذِّر أخٌ للشيطان.

٣- في التبذير إتلافٌ للمال، وتضييعٌ له.

٤- التبذير يُؤدِّي للفقر.

٥- في التبذير اتِّباعٌ للهَوى وبُعدٌ عن الحق.

الفرق بين التبذير والإسراف:

لقد ذهَب بعضُ المفسّرين إلى أنّ الإسراف والتبذير قد يَردان بمعنى واحد، وقَد يَردُ أحدُهما ويُراد به الآخَر، والتحقيق أن بينهما فرقاً، وهو أنّ الإسراف: هو التجاوز عن الحدّ سواء كان في الأموال، أو في غيرها كـالأكـل والشرب والجماع ونحوها[١٩]. والتبذير من (بَذَرَ) و هي تعني بَذَر البذور، إلا أنّها هنا تخص الحالات التي يصرف فيها الإنسان أمواله بشكل غير منطقي وفاسد. بتعبير آخر: إنّ التبذير هو هدر المال في غير موقعه ولو كان قليلاً، بينما إذا صُرف في محلّه فلا يعتبر تبذيراً ولو كان كثيراً.[٢٠]

والخلاصة: أنّ الأمرين قد يجتمعان فيكون لهما المعنى نفسه أحياناً، وقد ينفردُ الأعمُّ وهو الإسراف. وكلاهما مذمومٌ ومنهيٌّ عنه، والمعادلة الإلهية والدرس القرآني الخامس هو الاعتدال والوسطية في إنفاق المال، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[٢١] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٢٢].

((التوازن والتعادل أساس كل شيء في الإسلام، عقيدة وشريعة وأخلاقاً...وعبّر سبحانه عن التقتّر بغُلّ اليد؛ لأنّ المقتر يقبض يده عن الإنفاق، والغُلّ أيضاً يمنعها عن التصرّف، وقوله: ولا تبسطها كل البسط أراد به اليد التي لا تمسك شيئاً في قبال التي تمسك كل شيء... ونهاية هذه وتلك واحدة، وهي الحسرة والملامة، فالمسرف يعضّ يد الحسرة والندامة ملوماً عند الله والناس، وعند نفسه أيضاً حين يصبح صفر اليدين، والبخيل مذموم على كل لسان، وحسرته غداً أشدّ وأعظم من حسرة المسرف، وخير الأمور الوسط...وهذا المبدأ القرآني، وهو المصلحة، قد يلتقي مع نظرية الوسط(نظرية سقراط في الأخلاق القائلة: كل فضيلة وسط بين رذيلتين، فالشجاعة وسط بين التهور والجبن، وهكذا)، كما في الأشياء التي لها وسط، مثل الكرم بين التقتير والإسراف، ويفترق عنها في الأشياء التي لا وسط لها كالأمانة فأنّها ضد الخيانة، ولا ثاني لها كي تتوسط الأمانة بينهما.))[٢٣].

صور من التكسب الحلال والحرام:

أولاً: الآيات التي تدلّ على الكسب الحلال

وجوه التكسب بالحلال كثيرة، منها على سبيل المثال: الحراثة، والتجارة، والصناعة، وتربية الدواب والدواجن وغير ذلك. فنظّم الإسلام البيع، والرهن، والعارية، والوديعة،

والوكالة، والكفالة، وسائر العقود والمعاملات. ووضع للمُداينات نظاماً يكفل حفظ الحق، وراحة المتداينين، وينجيهم من شرّ النزاع.

فجاء الحثّ في القرآن الكريم على الكسب الطيب وعلى طلب الرزق الحلال. من ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾[٢٤] كذلك قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٢٥]. وفي جواب توجه إلى النبي ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾[٢٦]. حتى في الإنفاق فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن ننفق من المال الطيب الحلال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[٢٧].

فالكسب منه الحلال الطيب ومنه الخبيث الحرام. لكنّ الآيات القرآنية كلها تحثّ على أن يكون الكسب من المال الطيب الحلال، ومن المال المباح الذي لا إشكال فيه، ولا شبهة للحرام فيه. فإذا تدبّرنا الآيات الكريمة في القرآن الكريم نجد أنّ الرزق الطيب، والكسب الطيب، والإنفاق الطيب، كل ذلك توجيه من الله تعالى لنا، لأن يكون كسبنا من المال الحلال الطيب الذي لا شائبة فيه للحرام.

ثانياً: الآيات التي تدلّ على الكسب الحرام.

المبادئ التي أسسّها القرآن الكريم عدم مشروعية أكل أموال الناس بالباطل، وجعلت هذا الأمر محرّماً شرعاً ومنهياً عنه بالخطاب القرآني.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾[٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[٢٩]، وهذا تحذير من التطفيف في المكيال والميزان، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾[٣٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[٣١].

والخلاصة: أنّ صور التكسب الحلال كثيرة، كما هو الحال في التكسب الحرام، لكنّ الإسلام حرص على التكسب الحلال ونهى عن التكسب الحرام وهو الدرس القرآني السادس.

التكافل الاجتماعي:

بعد أن عرفنا أهميّة المال الذي به قِوام الحياة، وعرفنا حُسن التقدير بالمال، وبركته، وصور التكسب الحلال والحرام، وخطورة إضاعته بالإسراف والتبذير، وأصبح واضحاً لدينا من أنّ القرآن الكريم قد رسم لنا منظومةً ماليةً دقيقة تنظّم الحركة المالية لدى الفرد المسلم ابتداءً من كسب المال إلى إنفاقه، ولكن من أهم المباحث في تلك المنظومة هو مبحث التكافل الاجتماعي، ونحن سَنُسلّط الضوء على الفرد الواحد فضلاً عن المجتمع، لأنّه وكما تعلمون أنّ أغلب البلدان وإن ادّعت الإسلام لكنها لم تعمل بالنظام الاقتصادي الإسلامي وإن عمِلت فنراها بعيدة عن تحقيق الغاية التي أرادها القرآن الكريم من تطبيق العدالة في الجانب المالي، وهذا لا يمنع أن يَعمل به الفرد الواحد، أو الأسرة الواحدة وبنفس النظام الذي وضع للأمة، بمعنى آخر: جعل خطة مالية تساعد الأسرة على الموازنة بين الدخل والنفقات بحيث لا تزيد النفقات على مستوى الدخل فتضطر الأسرة للاستدانة، وبعبارة أخرى: العيش في حدود الدخل المتاح بعد وضوح الرؤية فيما يخص القدرة الشرائية وعدم الوقوع في الديون وذلك بادّخار جزء من المورد المالي لتحقيق المطلوب، فليكن خطابنا للفرد المسلم وليكن هو أمةً في تطبيق التكافل القرآني، وذلك ابتداءً من أن يجعل له خزينةً ماليةً من فائض ماله الشهري، أو الأسبوعي ويرجع ذلك إلى طبيعة عمله بالتأكيد، وليكن بمثابة بيتُ المال عند المسلمين آنذاك، وإن كان قليلاً، وبمختلف مستويات المعيشة سواء كان متوسط الدخل، أم غنياً وممن كان دخله الشهري مليون دينار مثلاً، أو خمسمئة ألف، فلابدّ للمستوَيَين من أن يُخرِج من ماله اليسير الذي لا يضرّه ولا يؤثّر على دخله الإجمالي، فعلى سبيل المثال يخرج صاحب دخل المليون دينار شهرياً مبلغ مئة ألف ومن صاحب الخمسمائة ألف دينار خمسون ألف، ولا يعتبِر ذلك المال جزءاً من ماله الخاص، بل هو لبيت المال، أو لصندوق التكافل، فينفقها في معونة الناس سراً أو علانية، هبةً أو قرضاً، قريباً أو بعيداً، ومهما بلغ ذلك المال شهراً بعد شهر فهو خاص بصاحب المال الحقيقي وهو الله سبحانه، ويعتبر هذا الفرد هو المخول شرعاً بالتصرف به ووضعه فيما يستحق، وهذا التخويل إلهي كما قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣٣]، وقال تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن

يَبْخَلُ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾[٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾[٣٧]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة، وكلها تُهيب بالإنسان إلى أن يتحرّر من أسر المال، وأن ينفقه في سبيل الخير ووجوه البرّ، ابتغاء مرضاة ربه. فهو إذنٌ من صاحب المال الحقيقي لكل مسلم بالتصرّف، وكل فرد خَلَت منه خزائن المال الفائض ضعف شأنه، واستهان به عدوه، وعجز عن الدفاع عن نفسه، ومواجهة صعاب الحياة التي يتعرّض لها هو بنفسه، أم يتعرّض لها غيره من إخوته المؤمنين الذين قد تضيق بهم الضائقة ولا يجدون يد العون والمساعدة، وحيث لا يخفى على أحدٍ ما وصل إليه حالنا اليوم من القطيعة بتقديم المساعدة حتى وصلت داخل العائلة الواحدة، ولا يغفل عن هذا أحد، أو ينكر واقعه المعاش. فقد ترى أو تسمع بشخصٍ تعرفه ويريد إجراء عملية لمرض ما، فتراه متخبطاً لا يعرف كيف يؤمّن المال لذلك، وكلّ ما طرق باباً وجده مقفول، فلا أحد يجيبه بقرضٍ فضلاً عن هبةٍ، أو شاباً يريد أن يتزوج وهو بأمس الحاجة للزواج ويكتشف أنّه يعيش وحيداً على سطح الأرض، أو سقف بيت هائل للسقوط على من فيه ولا من معونٍ إلا الله جلّ جلاله. وبمنظورنا أنّ أغلب الأفراد تبرّر وتقول: أنّ الحال لا يكفي لسد رمقنا فضلاً عن بناء ذلك السقف، أو لتزويج ذلك الشاب، أو إسعاف ذلك المريض. نعم؛ حقاً كلامهم إذا قلنا أنّ كل المبلغ المراد مطلوب من فرد واحد، ولكن لو كان شيئاً بسيطاً يدفعه كلّ فردٍ ومن ذلك المال(صندوق التكافل) الذي جُمع وعدّ لهذا الغرض فيحقّق المطلوب وأكثر، أما التنحي بحجّة عدم امتلاك كلّ فردٍ لكل المبلغ المطلوب تعطيلٌ لما أراده الله سبحانه وبالتالي فهو خللٌ واضحٌ في تنظيم الحركة المالية لدى ذلك الفرد، وابتعاده عن النظام المالي الإلهي الدقيق.

إنفاق المال:

إنّ النفس إذا ذاقت لذّة المال وكسبه فُتنت به، وأُغرمت بجمعه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[٣٩]، وولعت بالحصول عليه بكل وسيلة

ومن كل سبيل، وحرصت عليه، ولم تنفقه في وجوهه، ولم تخرج منه حق السائل والمحروم، ولم تطعم يتيماً ولا مسكيناً، ولم تصل به رحماً، ولم تؤتِ ذا قربى، كما قال تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٤٠]، فأراد الله أن يحدّ من شره النفوس، فنبهها إلى ما في الشُح من سوء المغبة على الفرد وعلى المجتمع، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾.[٤١] وعلِم الله أنّ من الناس من يأتيه المال ولم ينفقه في وجوه الحق والنفع له ولأمته، فنظّم الله تعالى هذا الحال، فقال جلّ جلاله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[٤٢]، فما أروعه من نظام، وما أعدله من تشريع. حينما جعل في أموال الأغنياء نصيباً مفروضاً للفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون، حفاظاً على كرامة المؤمنين من التجريح، وتوثيقاً لأواصر الودّ بين الأغنياء والفقراء، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٤٣].

وقد شرّع الله تعالى في القرآن الكريم إنفاق السّر إلى جانب إنفاق العَلانية، وجَعَل كليهما سلوكاً عامّاً للمؤمنين، ومَدَحَ كِلا النّوعين في سياقٍ واحد، فقال سبحانه: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[٤٤]

نفهم من هذه الآية الكريمة أنّ الصدقات في كلّ أحوالها خيرٌ محض، ما دام المنفِق قد خَلُص من الرياء، والمنّ والأذى. فالإنفاقُ في كِلا الحالتين (الإبداء والإخفاء، أو السِّر والعلانية) مشروعٌ ومحمود. كما يُلاحَظ من خلال التأمُّلِ والتدبُّرِ في آيات الإنفاق في القرآن الكريم: إنّ الذي يَعتاد على الإنفاق في ا لسّر لن يَثقُل على نفسه الإنفاق علانيةً، كالإنفاق على الأقارب وعلى من تَجب نفقتهم، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾[٤٥]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤٦]. وهكذا يُسهِم الإنفاق في السّر والإنفاقُ في العَلانية في تكوين الشخصية الاقتصادية الإسلامية التي يُريدها الله تعالى لعباده، لما فيها من الآثار الاجتماعيّة التي بها تحفظ كرامة الفقير، وتراعي مشاعرَه، وكذلك تحمي المجتمع من الأخلاق الرديئة. وبعكس هذا النظام الدقيق ستحل الحوادث

باختلال التوازن بضنك العيش ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(٤٧)، وهذا هو النظام المالي ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٤٨)، وكما نبهنا الله تعالى بقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(٤٩).

والخلاصة: نفقة السّر والعلانية محمودةً ومباركةً بتشريع الله عزّ وجل، كما أنّ هذا القانون يبني شخصية الفرد المسلم الاقتصادية، فلا يصعُب على شخصٍ ينفق سّراً من أن ينفق علانيةً، وهذا هو الدرس القرآني السابع.

الخاتمة:

المال الذي بين أيدينا، وبه قِوامنا، مال الله، استخلف عباده فيه لينفقوه فيما أمرهم أن ينفقوه، بعد أن جعلهم مسؤولين عنه، ومحاسبين على طرق كسبه وطرق إنفاقه. ولتحقيق عبادة الإنفاق، ذم الإسلام البخل، وكذلك الإسراف، ودعا إلى الاعتدال، وشدّد على ذم الاكتناز.

فعلينا أن نكونَ على يقينٍ بأنّ المال وسيلةٌ وليس غاية، والوسيلة هي الجهد الذي يبذله المسلم في جمع المال وإنفاقه، ولكنّ المسلمين في هذا الزمن، الذي استشرى فيه الفساد، أصبح كثير منهم، إلا من عصم الله، ينطبق عليهم قول الرسول ﷺ: **(لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا آكِلُ الرِّبَا فَمَنْ لَمْ يَأْكُلْ أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ)**(٥٠)، فالمسلمون انفكوا عن النظام الاقتصادي الإسلامي، وأعرضوا عنه، فتفشت المحرمات في التعاملات المادية، ومن هنا علينا أن نعيد النظر في مناهجنا الاقتصادية.

أهم نتائج البحث:ـ

الدرس القرآني الأول- إعطاء المال لمن يحسن التصرّف به.

الدرس القرآني الثاني - في أهميّة المال.

الدرس القرآني الثالث - الاقتصاد والرفق في صرف الأموال.

الدرس القرآني الرابع – البركة في المال.

الدرس القرآني الخامس – الاعتدال والوسطية في إنفاق المال.

الدرس القرآني السادس – الحرص على التكسّب الحلال والنهي عن التكسّب الحرام.

الدرس القرآني السابع – الإنفاق سراً وعلانية.

هوامش البحث

(١) المهنا، عبد الله علي، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، ج٢، ص٥٨١.
(٢) السعدي، أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ص٢٤٤.
(٣) النساء: ٥
(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٣، ص٦٤.
(٥) المصدر نفسه، ص٦٥
(٦) ابن حيون، نعمان بن محمد مغربي، دعائم الإسلام، ج٢، ص ٢٥٤.
(٧) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٤، ص٢٤٧.
(٨) البقرة: ٢٧٦
(٩) البقرة: ٢٧٤
(١٠) المغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، ج١،ص٤٣٥.
(١١) الأنعام:١٤١
(١٢) ابن سيده، على بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، ج٨، ص ٤٧٦.
(١٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٧، ص٣٧٥.
(١٤) الزمر: ٥٣
(١٥) الفراهيدي، خليل بن أحمد، كتاب العين، ج٨، ص ١٨٢.
(١٦) الأصفهاني، راغب، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص ١١٣.
(١٧) الإسراء: ٢٧
(١٨) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص٨٠.
(١٩) اليزدي، محمد، فقه القرآن، ج٤، ص٢٨٧.
(٢٠) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٨، ص٤٥٢.
(٢١) الإسراء: ٢٩
(٢٢) الفرقان: ٦٧

(٢٣) المغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، ج٥، ص ٤١.
(٢٤) البقرة: ١٦٨
(٢٥) البقرة: ١٧٢
(٢٦) المائدة: ٤
(٢٧) البقرة: ٢٦٧
(٢٨) النساء: ٢٩
(٢٩) المطففين: ١
(٣٠) البقرة: ٢٧٨
(٣١) النساء: ١٠
(٣٢) الحديد: ٧
(٣٣) الحشر: ٩
(٣٤) محمد: ٣٨
(٣٥) الليل: ٨ - ١٠
(٣٦) الليل: ١١
(٣٧) التوبة: ٧٥ - ٧٧
(٣٨) العاديات: ٨
(٣٩) الفجر: ٢٠
(٤٠) البلد: ١٤-١٥
(٤١) المدثر: ٤٤
(٤٢) الإسراء:٢٦
(٤٣) التوبة: ٦٠
(٤٤) البقرة: ٢٧١
(٤٥) إبراهيم: ٣١
(٤٦) البقرة:٢٧٤
(٤٧) طه:١٢٤
(٤٨) الكهف: ٢٩
(٤٩) الحديد: ٢٠
(٥٠) النوري، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل،ج١٣، ص٣٣٣.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

١- ابن حيون، نعمان بن محمد مغربي، دعائم الإسلام، الناشر: مؤسسة آل البيت^، ط٢، قم- إيران ١٣٨٥ق.

٢- ابن سيده، على بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان،١٤٢١هـ.

٣- الأصفهاني، راغب، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، الناشر: دار القلم، ط١، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ.

٤- سعدي، أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، الناشر: دار الفكر، ط٢، دمشق- سوراي، ١٤٠٨هـ.

٥- الشيرازي ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الناشر: مدرسه الإمام علي عليه السلام، ط١، قم- إيران، ١٤٢١ق.

٦- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الناشر: الأميرة للطباعة والنشر، ط٢، بيروت- لبنان،١٤٣٠هـ.

٧- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: دار المجتبى، ط١، قم- إيران، ١٤٣٠هـ.

٨- الفراهيدي، خليل بن أحمد، كتاب العين، الناشر: هجرت، ط٢، قم-إيران، ١٤٠٩هـ.

٩- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، الناشر: دار الكتب الإسلامية، ط٤، طهران- إيران، ١٤٠٧ق.

١٠- المغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، الناشر: دار الأنوار، بيروت- لبنان،ط٤.

١١- المهنا، عبد الله علي، لسان اللسان في تهذيب لسان العرب، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان،١٤١٣هـ

١٢- النوري، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط١، إيران-قم، ١٤٠٨ق.

١٣- اليزدي، محمد، فقه القرآن، الناشر: مؤسسة إسماعيليان، ط ١، قم - إيران، ١٤١٥ق.